

مسير سبايا الإمام الحسين (عليه السلام)

دراسة جغرافية

أ.م.د. أحمد عبد الستار

كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

المقدمة

عندما قُتل الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) في العاشر من محرم سنة ٦١هـ أخذ من بقي من عسكره أسرى إلى الكوفة، ومن ثمَّ إلى دمشق مركز الخلافة أثناء حقبة الخلافة الأموية، بناءً على طلب يزيد بن معاوية الذي كان الحاكم المُتسلط في دمشق.

ومن خلال هذا البحث نحاول معرفة الطريق والمدن والبيئات الجغرافية التي مرَّت بها سبايا الحسين من كربلاء إلى دمشق مركز الخلافة، بالاعتماد على رواية أبي مخنف (ت ١٥٧هـ) في مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، والذي يُعد من أقدم من كتب عن مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأكثرهم تفصيلاً في ذكر الأماكن التي مرَّت بها قافلة السبايا من كربلاء إلى دمشق وهو طريق غير مألوف في طرق القوافل، إذ من المعروف أنَّ الطرق السلطانية هي المعتمدة في مسير القوافل والجيش، إلا أنَّ طريق قافلة سبايا الحسين (عليه السلام) لم تلتزم بهذه الطرق بل أخذت طريق أكثر طولاً وبضعف المسافة طولاً أولاً ومرت بأماكن ذات بيئات جغرافية متنوعة أغلبها صحراوية عكس الطريق السلطاني أو قرب مجاري الأنهار والعيون المائية ثانياً مما صعبَ طريق السبايا أكثر، لاسيما إذا ما تذكرنا حرارة الجو واستشهاد الإمام الحسين وآل بيته (عليهم السلام) وأصحابه عطاشاً فضلاً عن المعاملة السيئة التي ذكرها المؤرخون التي عومل بها سبايا الحسين (عليه السلام) أثناء الطريق.

وقد تمَّ إيجاز البحث من خلال محورين أو مبحثين الأول يتناول الطريق والمدن في العراق والثاني الطرق والمدن وبيئات المدن في الشام والتي تضم كور سوريا ولبنان ومن ثمَّ الخاتمة والمصادر والهوامش.

طريق سبايا الحسين (عليه السلام) في العراق

اعتمدنا في معرفة طريق سبايا الحسين (عليه السلام) من الكوفة إلى دمشق كما ذكرنا سابقاً على رواية أبي مخنف الأزدي، الذي ذكر أجواء معركة الطف وما رافقها بصورة مسهبة، إذ ذكر أنَّ السبايا قد سلكت الطريق المار بالمدن التالية على التوالي^(١):

١. من كربلاء ٢. الكوفة ٣. شرق الجصاصة
٤. تكريت (لم يدخلوها) ٥. الأعمى ٦. دير عروه ٧.
٨. وادي نخلة ٩. أرمينيا ١٠. لينا ١١. الكحيل
١٢. الموصل ١٣. تل أعفر ١٤. جبل سنجار ١٥.
- نصيبين ١٦. عين الورد ١٧. قنسرين ١٨. معرة النعمان ١٩. شيزار ٢٠. كفر طاب ٢١. سيبور ٢٢.
- حماة ٢٣. حمص ٢٤. كنيسة قسيس ٢٥. بعلبك ٢٦.
- صومعة راهب ٢٧. دمشق.

وهذا الطريق بعيد عن الطريق السلطاني والذي يمر بالمدن التالية:

١. الكوفة ٢. الحيرة ٣. القفططانه ٤. البقعة
٥. الأبيض ٦. الحوشي ٧. الجمع ٨. الخطي ٩. الجبه
١٠. القلوفي ١١. الراوي ١٢. الساعدة ١٣. البقعة
١٤. الاعنك ١٥. أذرعان ١٦. منزل ١٧. دمشق^(٢).

وثلاثان، وهي في الإقليم الثالث، وقدر بشر بن عبد الوهاب القرشي الكوفة فكانت ست عشر ميلاً وثلاثي الميل سنة ٢٦٤هـ^(٧).

وهي قصبة جليلة خفيفة حسنة البناء جليلة الأسواق كثيرة الخيرات جامعة رفقة وكل رمل خالطه حصى فهو كوفة، وكان البلد في القديم الحيرة ثم خربت والنهر على طرفها من قبل بغداد ولهم آبار عذبة حولها نخيل وبساتين ولهم حياض وقنين^(٨). وهوائها أصح وماؤها أعذب، ويحيط بها ما يلي المشرق النخيل والأنهار والزرع^(٩). والفرات من الكوفة على مسافة نصف فرسخ^(*) في الجانب الشرقي منها^(١٠).

ثالثاً: تكريت

بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً ولها قلعة حصينة في طرفها الأعلى راكبة على دجلة وهي غرب دجلة، وفي كتاب الملحمة المنسوب إلى بطليموس: مدينة تكريت طولها ثمانى وتسعون درجة وأربعون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وثلاث دقائق، وقال غيره: طولها تسع وستون درجة وثلاث، وعرضها خمس وثلاثون درجة ونصف^(١١).

وهي مدينة كبيرة فسيحة الأرجاء مليحة الأسواق، كثيرة الجوامع، وأهلها موصوفون بحسن الخلق، ودجلة في الجهة الشمالية منها وعليها سور يحيط بها؛ تشتهر بصناعة الصوف وبها للنصارى دير يُقصد^{(١٢)(١٣)}.

وحسب رواية أبي مخنف لم تدخل قافلة السبايا إلى هذه المدينة بل ساروا في الجهة المقابلة لها من النهر خوفاً من ثورة الناس على جيش يزيد.

رابعاً: بارما (أرمينا)

بكسر الراء وتشديد الميم، وهو جبل بين تكريت والموصل ويُعرف بـ(جبل حُمَين) وبارما أيضاً قرية في شرق دجلة الموصل^(١٤).

ومن خلال المقارنة بين الطريقتين يتضح أن السبايا قد قطعوا طريقاً طوله (١٤٠٠ كم) في حين أن الطريق بين الكوفة ودمشق يصل إلى (٨٥٠ كم)^(٣). أي أن السبايا قد ساروا ضعف المسافة اللازمة للسفر من الكوفة إلى دمشق ومن خلال البحث نحاول تفسير سبب ذلك.

أما أهم المدن العراقية التي مرّت بها السبايا فيمكن إعطاء للمحة الجغرافية عليها من خلال الإطلاع على وصف الجغرافيين لهذه المدن وموقعها وبيئاتها المختلفة لمعرفة ما تعرض له السبايا من أذى مضاعف، فضلاً عن بُعد المسافة وشدة الحر والمعاملة السيئة أثناء السفر، ومن أهم المدن العراقية التي ذكرت لرواية أبي مخنف هي (١٤) مدينة أو موقع وهي:

أولاً: كربلاء

تقع غرب الفرات فيما يُحاذي قصر ابن هُبيرة^(٤). هو الموقع الذي قُتل فيه الحسين بن علي (عليه السلام) في طريق البرية عند الكوفة، وقد روي أن الحسين (عليه السلام) لما انتهى إلى هذه الأرض قال لبعض أصحابه: "ما تسمى هذه القرية؟ وأشار إلى العقر، فقال له: اسمها العقر، فقال الحسين (عليه السلام): نعوذ بالله من العقر، ثم قال: فما أسم هذه الأرض التي نحن فيها؟ قالوا: كربلاء، فقال: أرض كرب وبلاء^(٥). وهي تحفها حدائق النخيل، ويسقيها ماء الفرات^(٦).

وعلى الرغم من هذه الخصائص الطبيعية لهذه الأرض الحاوية على النخيل وبها مياه جارية إلا أن الحسين (عليه السلام) وآل بيته وأصحابه (عليهم السلام) لم يسقوا من المياه المتوفرة في تلك الأجزاء بأمر من قائد جيش يزيد بن معاوية وهو عمر ابن سعد.

ثانياً: الكوفة

بالضم: المصر المشهورة بأرض بابل من سواد العراق ويُسميها قوم خذ العذارى وطول الكوفة تسع وستون درجة ونصف وعرضها إحدى وثلاثون درجة

ثامناً: تل أعفر

وهو أسم قلعة وربض بين سنجار والموصل في وسط وادٍ فيه نهر جارٍ، وهي على جبل منفرد وحصينة ومحكمة^(٢١).

وموقع هذه المدينة حتم على الواصل إليها الصعود على سفح الجبل للدخول إلى المدينة وهذا مما صعب على مسير قافلة السبایا الوصول إليها مع حالة الصعود هذه على ظهور الجمال وبدون محامل مما زاد من فرص تساقط السبایا خلال الصعود.

تاسعاً: سنجار

مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام أو هي في لحف جبل عالٍ، وهي مدينة طيبة في وسطها نهر جارٍ، وهي عامرة جداً، وقدامها وادٍ فيه بساتين ذات أشجار ونخل، وبينها وبين نصيبين ثلاثة أيام، وعن الزمخشري قال في الزيج: طول سنجار ثلاثون درجة وعرضها خمس وثلاثون درجة ونصف وثلاث^(٢٢)(٢٣). وهي مبنية على سفح جبل، تشبه بدمشق بكثرة أنهارها وبساتينها وعيونها المطردة^(٢٤). وهي طيبة جداً كثيرة العمارات الحسنة وبيوتها واسعة جداً وفرشها فصوص وكذلك تآزيرها^(٢٥).

وهذه المدينة كسابقتها من المدن، موقعها على سفح جبل وهذا مما ساعد على بطئ الحركة وزيادة تعذيب سبایا الحسین (علیه السلام) خلال هذا الطريق.

نظرة جغرافية على مدن العراق

من أهم ما تمّ ملاحظته على مدن العراق التي مرّت بها السبایا هي:

١. أن السبایا ساروا شرق الفرات من ذلك وصولاً إلى شرق الجصاصة والتي يُعتقد أنها قصر ابن هبيرة^(٢٦).

٢. أن طريق السبایا أصبح بعد الجصاصة يسير غرب دجلة وذلك سبب عدم دخولهم المدن المشهورة على الضفة الشرقية لنهر دجلة مثل مدينة

وهي منطقة صعبة المسالك كونها حسب وصف ياقوت منطقة جبلية ذات وديان بين هذه الجبال وهي مسلك القوافل ولكن صعبة المسير كونها متعرجة وذات صخور وأحجار منتشرة داخل هذه الوديان الممتدة لمسافات طويلة مما زاد من معاناة السبایا.

خامساً: لبنا

اللبن أيضاً: أكبر قرية من كورة بين النهرين التي بين الموصل ونصيبين^(٢٥).

سادساً: كجبل

مدينة عظيمة على دجلة بين الزابيين فوق تكريت من الجانب الغربي، وأمّا الآن فليس لهذه المدينة خبر ولا أثر^(١٦).

سابعاً: الموصل

مدينة مشهورة العظمة وإحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظر كبراً وعظماً وكثرة خلق وسعة رفعة فهي محطّ رحال الركبان ومنها يُقصد إلى جميع البلدان فهي مفتاح خراسان وباب العراق، وكانت صحيحة الهواء، وليس للموصل عيب إلا قلة بساتينها وعدم جريان الماء في رساتيقها وشدة حرها خلال فصل الصيف وعظم بردها في الشتاء، وقال بطليموس: مدينة الموصل طولها تسع وستون درجة وعرضها أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة، ومن بغداد إلى الموصل أربع وسبعون فرسخاً^(١٧)(١٨).

وتمتد حوالها البساتين، وهواءها طيب في الربيع، أمّا في الصيف فأشبه شيء بالجحيم! فإنّ المدينة حجرية جصية تؤثر فيها حرارة الصيف، تبقى كالشاخوره، وخريفها كثير الحمى تكون شبه سليمة والأخرى موبئة، يموت فيها ما شاء الله، وشتاؤها كالزمهرير^(١٩).

غير أنّ البساتين بعيدة وريح الجنوب مؤذية وماء النهر بعيد المستقى، والآبار مالحة وشربهم من دجلة ونهر زبيدة^(٢٠).

الأسم أو قد تكون هذه المواقع قد اندثرت ولم يعد لها أثر، ومثال ذلك ما ذكره الحموي عن مدينة الكحيل التي لم يبق لها أثر، فضلاً عن طريق السبايا في العراق غرب دجلة وابتعاده عن المدن الرئيسية خوفاً من انتقام الناس من جيش أو جنود يزيد.

طريق سبايا الحسين (عليه السلام) في الشام

بعد عبور سبايا الحسين (عليه السلام) مدينة سنجار في العراق دخلوا إلى بلاد الشام من الجهة الشمالية الشرقية، ويمكن إيجاز المدن التي مرّت بها السبايا في هذا الجزء إلى:

أولاً: نصيبين

وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام وفيها وفي قراها على ما يذكر أهلها أربعون ألف بستان، بينها وبين سنجار تسع فراسخ، وبينها وبين الموصل ستة أيام، وبينها وبين وديسر يومان عشرة فراسخ، وتنتشر العقارب بالمدينة كلها، وطول مدينة نصيبين خمس وسبعون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها ست وثلاثون درجة واثنان عشرة دقيقة، في الإقليم الرابع، وقال صاحب الزيج: طول نصيبين سبع وعشرون درجة ونصف^(٢٩).

وهي أنزه وأصغر وأرحب من الموصل وفيها العقارب^(٣٠). وهي كثيرة المياه والأشجار والبساتين، ظاهرها في غاية النضارة وباطنها أيضاً، وهي وخمة لكثرة مياهها وأشجارها مضرّة سيما بالغرباء، وعقارب نصيبين مما يُضرب بها المثل لكثرتها^(٣١).

ثانياً: عين الورود (رأس العين)

وهي مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين وديسر، وبينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخاً وقريب من ذلك بينها وبين حران وهي إلى ديسر أقرب، بينهما نحو عشرة فراسخ، وفي رأس العين عيون كثيرة عجيبة صافية تتجمع كلها في موقع فتصير نهر الخابور^(٣٢).

تكربت التي ذكرت إلا أنهم لم يدخلوها وكذلك الحال مع الموصل إذ لم يدخلوها أيضاً بسبب خوفهم من غضب الناس إذا عرفوا أنّ السبايا هم آل الرسول الأعظم (عليه السلام).

٣. مروا السبايا في بعض مدن العراق ببيئات جغرافية متنوعة منها الجبلية والأودية ومثال ذلك وادي نخلة الذي لم يحصل الباحث على معلومات عنها عند الجغرافيين المسلمين إطلاقاً، وبطبيعة الحال فإنّ الوديان في هذه المنطقة متباينة الارتفاع أو الأعماق وبالتالي صعوبة الحركة داخل هذه الوديان لوجود رواسب داخل الوديان منها الخشن والحجارة وبمختلف الأحجام هذا الأمر الذي زاد من صعوبة حال السبايا المحمولين على "احلاس اقتاب الجمال بغير وطاء ولا غطاء مكشفات الوجوه"^(٢٧).

كذلك مع طبيعة مدينة أرمينا أو بارما والتي تُعرف بـ(جبل حمري) وهو جبل بين تكربت والموصل، وبالتالي صعوبة الحركة والانتقال في مثل هذه المناطق، وكذلك الحال مع مدن تل أعفر وجبل سنجار فهي أيضاً مدن تقع على سفوح الجبال والوصول إليها يتطلب جهد وعناء للمسافر بطريقة اعتيادية فما بالك بالسبايا وهم "يساقون كما يساق سبي الترك والروم في أشد المصائب والهموم"^(٢٨).

أمّا عن درجات الحرارة التي تعرضت لها السبايا، فمن المعروف أنّ درجات الحرارة تقل كلما تقدّمتنا من خط الاستواء نحو القطبين، ومن ذلك فالمفروض أنّ درجات الحرارة تقل باتجاه الموصل، إلا أنّ واقع الحال كان غير ذلك فحر هذه المدينة لا يُطاق صيفاً حسب وصف الجغرافيين المسلمين، وهذا مما زاد من معاناة السبايا المكشوفات الوجوه ولمسافات طويلة وأمام الغرباء.

أمّا المدن والمواقع التي لم يحصل الباحث على معلومات عنها في العراق هي (الأعمى ودير عروة وصليتا ووادي نخلة)، فهي إمّا هناك عدم دقة لفظ

خامساً: شيزر

وهي قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة، بينها وبين حماة يوم، في وسطها نهر الأردن عليه قنطرة في وسط المدينة وتعد من كور حمص وهي قديمة^(٤٠).

سادساً: كفر طاب

هي بلدة بين المعرة ومدينة حلب في بركة معطشة ليس لهم شرب إلا ما يجمعونه من مياه الأمطار في الصهاريج، وبلغني أنهم حفرُوا نحو ثلاثمائة ذراع فلم ينبط لهم الماء^{(٤١)(٤٢)}.

سابعاً: حماة

مدينة كبيرة عظيمة الخيرات رقيقة الأسعار واسعة الرقعة حافلة بالأسواق. يُحيط بها سور مُحكم وبها نهر معروف بالعاصي، عليه عدّة نواعير تسقي الماء من العاصي فتسقي بساتينها وتصب إلى بركة جامعها سنة (٢٧١ هجرية)، وقال المنجّمون: طول حماة اثنان وستون درجة وثلثان، وعرضها خمس وثلثون وثلثان وربع، وبين حماة وحمص والمعرة وسلمية يوم، وبينها وبين شيزر نصف يوم، وبينها وبين دمشق خمسة أيام للقوافل وبينها وبين حلب أربعة أيام^(٤٣).

ثامناً: حمص

بلد مشهور قديم كبير مسور، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق وقال أبو عون في زيجته: طول حمص إحدى وستون درجة وعرضها ثلاث وثلثون درجة وثلثان وهي في الإقليم الرابع، ومن عجب ما تأملتُه من أمر حمص فساد هوائها وتربتها للذان يُفسدان العقل^(٤٤).

وحمص ليس بالشام بلد أكبر منها وفيه قلعة متعالية عن البلد تُرى من الخارج، أكثر شربهم من ماء المطر، ولهم أيضاً نهر، والبلد شديد الاختلال متداع إلى الخراب والقدم وسائر المدن المختلفة.

أشهر هذه العيون عين الصرار، فإنها لصفاء ماؤها تبين الحصاة في قعرها وعمقها أكثر من عشرة أذرع^(*)، ومنبع هذا الماء من صخر صلد يخرج منه ماء كثير بقوة^(٣٣). أمّا بنايات المدينة فهي من حجارة وجص ولهم بساتين ومزارع ويقع إليها ثلاثمائة وستون عيناً عذبه تمد إلى الرقة^(٣٤).

ثالثاً: قنسرين

قال بطليموس: مدينة قنسرين طولها تسع وثلثون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها خمس وثلثون درجة وعشرون دقيقة في الإقليم الرابع، وقال صاحب الزيج: طول قنسرين ثلاث وثلثون درجة وعرضها أربع وثلثون درجة وثلث، وكانت حمص وقنسرين شيئاً واحداً، وبين قنسرين وحلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم^(٣٥).

وقنسرين مدينتها حلب وكانت عامرة غاصة بأهلها كثيرة الخيرات على مدرج طريق العراق إلى الثغور وسائر الشامات افتتحها الروم مع سور عليها حصين من حجارة لم يُغن عنهم من العدو شيئاً بسوء تدبير سيف الدولة وما كان به من العلة فأخرب جامعها وسبى ذراري أهلها وأحرقها، ولها قلعة غير طائلة وقد عمّرت، وشرب أهلها من نهر يُعرف بأبي الحُسْن فويق وفيه قليل طفس.

وقنسرين مدينة تُنسب الكورة إليها وهي من أضيّق تلك النواحي بناءً وإن كانت نزهة الظاهر مغوثة في موضعها بما بها من الرخص والسعة في الخيرات والمياه^(٣٦).

رابعاً: معرة النعمان

وهي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة، ماءهم من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين^{(٣٧)(٣٨)}.

وهي بجميع نواحيها ليس بها ماء جارٍ ولا عين وشربهم من ماء السماء^(٣٩).

عاشراً: دمشق

البلدة المشهورة قسبة الشام، وهي جنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارتها ونضارة بقعتها وكثرة فاكهتها ونزاهة رقعتها وكثرة مياهها ووجود مآرب، قال صاحب الزيج: دمشق طولها ستون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونصف وهي في الإقليم الثالث، قال أحمد بن الطيب السرخسي: بين بغداد ودمشق مائتان وثلاثون فرسخاً. وهي أرض مستوية تحيط بها من جميع جهاتها الجبال الشاهقة، وبها جبل قاسيون، والمسافة بين دمشق وبلبك يومان وإلى حمص خمسة أيام وإلى حماة ست أيام وإلى حلب عشرة أيام^(٥٠)(٥١).

وهي مدينة طيبة جداً غير أن في هواءها يبوسة، وأهلها غاغة، وثمارها تفه، ولحومها قاسية، ومنزلها ضيقة، وأزقتها غامّة، وأخباؤها رديئة والمعاش بها ضيقة، تكون نحو نصف فرسخ في مثله في مستوى^(٥٢).

ومن أهم مدنها (بانياس، صيدا، بيروت، طرابلس، عرفة، وناحية البقاع)^(٥٣). تحيط بالمدينة المياه والأشجار وزروع متصلة بها وتعرف تلك البقعة بـ(الغوطة)، عرضها مرحلة في مرحلتين^(٥٤).

نظرة جغرافية على مدن الشام

ومن أهم ما تمّ ملاحظته على طريق السبایا أثناء مرورهم ببلاد الشام ما يأتي:

١. أخذت قافلة السبایا الطريق الطويل ومثال ذلك مرورهم بمدينة نصيبين في أقصى شمال شرق بلاد الشام وهي حالياً ضمن (تركيا) أو على حدود الروم سابقاً، وهذه المدينة كانت مشهورة بكثرة بساتينها ووخمتها وضيق التنفس فيها لكثرة البساتين، فضلاً عن كثرة العقارب بها مما زاد من معاناة سير السبایا في هذه الأجواء.

٢. كان الطريق في أغلب أجزائه يمر بمناطق صحراوية جافة بعيدة عن المدن الرئيسية ومثال ذلك

ومن أهم مدنها (سلمية، تدمر، الخناصره، كفر طاب، اللاذقية، جبلة، انطرسوس، بانياس، حصن، والخابي)^(٥٥). وجميع طرق حمص من أسواقها وسككها مفروشة بالحجارة مبلطة وقد زاد اختلالها بعد دخول الروم إليها وانصراف سلطانها عنها^(٥٦).

وحسب رواية أبي مخنف الأزدي فإنّ الجند المرافقون للسبایا تعرضوا في هذه المدينة عند البوابة إلى الرمي بالحجارة وقد قتل مجموعة من الجنود، مما دعى القافلة إلى عدم الدخول إلى هذه المدينة، مما زاد من معاناة السبایا لقلّة فترات الاستراحة التي يحصلون عليها، إذ أغلب المدن التي مروا بها كان الناس يحاولون تحرير السبایا (سبایا بيت النبوة الأطهار)، لذلك كان قادة القافلة يتنقلون من مدينة إلى أخرى حفاظاً على حياتهم وخوفاً من غضب الناس عليهم.

تاسعاً: بعلبك

مدينة قديمة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وقيل اثنا عشر فرسخاً من جهة الساحل، قال بطليموس: مدينة بعلبك طولها ثمان وستون درجة وعشرون دقيقة في الإقليم الرابع^(٥٧).

وتكثر فيها الأشجار والمياه والخيرات والثمرات، يُنقل منها الميرة إلى جميع بلاد الشام، وبها أبنية وآثار عجيبة وقصور على أساطين الرخام لا نظير لها^(٥٨). وتقع المدينة على جبل وهي قريبة من مدينة بيروت التي على ساحل بحر الروم وهي فرضتها وساحلها وبها يُربط أهل دمشق وسائر جندها^(٥٩).

هذه المدينة كثيرة المياه وفيرة الخيرات، عندما دخلت السبایا إليها، لاحظت السيدة زينب عفيفة الهاشميين مظاهر الفرح والسرور والاحتفالات على أهل هذه المدينة مما دعاها إلى الدعاء عليهم، فضلاً عن ذلك فإنّ المدينة تقع على جبل، مما ساعد على زيادة معاناة سير السبایا للوصول إلى المدينة.

مدن قنسرين وحمص ومعرة النعمان التي ليس بها ماء جار ولا عين وشربهم من السماء، كذلك الحال مع كفر طاب التي هي في برية معطشة، فإذا كان هذا حال ساكنيها وقلة المياه فما بالك بحال السبايا والأسرى.

٣. فساد تربة وهواء المدن مثل فساد تربة وهواء مدينة حمص كما ذكر الحموي (ج ٢، ص ٣٠٤)، ويمكن تفسير ذلك بقلة المياه، وبالتالي فقر التربة وصلابتها، فضلاً عن جفاف الهواء وأثر ذلك على جسم سكان هذه المدن، كذلك الحال مع هواء مدينة دمشق ذا اليبوسة.

٤. ضيق شوارع بعض المدن مثل مدينة دمشق وبالتالي صعوبة الحركة داخل هذه الأزقة، مما ساعد على تعرض السبايا إلى التهجم والكلام الجارح عند دخولهم شوارع وأزقة دمشق لحين وصولهم إلى قصر يزيد بن معاوية وسط المدينة.

٥. وجود جبال عالية حول بعض المدن، مما صعب الوصول إليها من أمثالها مدينة دمشق، إذ تحيط بها الجبال من جميع الجهات.

أمّا المواقع التي لم يستطع الباحث الحصول على معلومات عنها من مدن الشام فهي (سيبور) التي دعت لهم العقيلة زينب (عليها السلام) والتي يمكن أن تكون هي (شيزر) من خلال تشابه الأسماء، وكذلك كنيسة قسيس خارج بعلبك لم يُذكر لها أسم معين حسب رواية أبي مخنف، وكذلك الحال مع صومعة راهب التي دخلوها بعد مرور قافلة السبايا ببعلبك وكانوا في مظاهر الفرح والسرور مما دعى العقيلة زينب (عليها السلام) بالدعاء عليهم.

الخاتمة

من خلال ما تقدم نلاحظ أنّ الطريق الذي سارت به قافلة سبايا الحسين (عليه السلام) هو طريق غير الطريق السلطاني أو طريق البريد بل هو أطول منه

ويصل إلى ضعف المسافة ويُرجع المؤرخون أنّ سبب اختيار هذا الطريق هو:

١. إخفاء الأمر عن غالبية الناس وخصوصاً المدن المؤيدة لقضية الإمام الحسين وآل البيت (عليهم السلام).
٢. الخوف من غضب الناس إذا عرفوا أنّ السبايا ليسوا خارجين عن ملك يزيد ابن معاوية كما رُوِّج له.

٣. عدم إتاحة الفرصة لأي مجموعة أو قبيلة في تحرير السبايا وهذا الأمر حصل مع مدينة سيبور، الذين دعت لهم العقيلة زينب (عليها السلام).

أمّا أجواء وطبيعة الطريق والمدن، فقد لاحظنا أنّ أغلب المدن كانت إمّا بعيدة عن مجاري الأنهار أو على جبال أو سفح جبل أو في منطقة معطشة وليس بها مياه خصوصاً في إقليم الشام، مما زاد من معاناة السبايا التي كانت تعامل معاملة سبايا الروم والترك بل أشد وأكثر قسوة.

وفي الختام نتمنى أن نكون قد قدمنا جزءاً بسيطاً من صورة الطرق التي سلكتها قافلة سبايا الحسين (عليه السلام) والبيئات الجغرافية المتنوعة التي مروا بها، ومن هنا ندعوا الباحثين والكتاب إلى إعطاء تفاصيل أكثر عن الطبيعة الجغرافية لهذه المدن من خلال البحث العميق لإظهار مدى معاناة سبايا آل البيت الأطهار خلال تلك المدة من الزمن.

هوامش البحث

١. أبو مخنف، لوط ابن يحيى ابن سعد ابن سليم الأزدي الغامدي (ت ١٥٧هـ/ ٧٧٣م)، مقتل الحسين، مخطوطة، نشرها محمد الشيرازي، مومباي، الهند، صص ٥٤-٥٨.

٢. ابن خرداذبة، أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ)، المسالك والممالك، مطبعة بريل، لندن، ١٨٨٩م، ص ٩٩.

٣. الربيعي، عباس، أطلس الحسين (عليه السلام)، هيئة تراث الشهيد الصدر، ط ١، بغداد، ٢٠١٠، ص ٣٢٩.

٤. ابن حوقل، أبي القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ)، صورة الأرض، ط ٢، بريل، لندن، ١٩٢٨، ص ٢٤٣.

٢٨. المصدر نفسه، ص ٩١.
٢٩. الحموي، ياقوت، مصدر سابق، ج ٥، ص ٢٨٨-٢٨٩.
٣٠. المقدسي، مصدر سابق، ص ١٢٧.
٣١. القزويني، مصدر سابق، ص ٤٦٧.
٣٢. ابن بطوطة، مصدر سابق، ص ٢٥١.
٣٣. الحموي، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٣-١٤.
٣٤. القزويني، مصدر سابق، ص ٣٧٣.
٣٥. المقدسي، مصدر سابق، ص ١٢٧.
٣٦. الحموي، ياقوت، مصدر سابق، ج ٤، ص ٤٠٣-٤٠٤.
٣٧. ابن حوقل، مصدر سابق، ص ١٧٨.
٣٨. الحموي، ياقوت، مصدر سابق، ج ٥، ص ١٥٦.
٣٩. القزويني، مصدر سابق، ص ٢٧٢.
٤٠. ابن حوقل، مصدر سابق، ص ١٧٨.
٤١. الحموي، ياقوت، مصدر سابق، ج ٣، ص ٣٨٣.
٤٢. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٧٠.
٤٣. القزويني، مصدر سابق، ص ٢٤٨.
٤٤. الحموي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٠٠.
٤٥. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٠٤.
٤٦. المقدسي، مصدر سابق، ص ١٣٨-١٣٩.
٤٧. ابن حوقل، مصدر سابق، ص ١٧٦.
٤٨. الحموي، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٥٣-٤٥٤.
٤٩. القزويني، مصدر سابق، ص ١٥٦.
٥٠. ابن حوقل، مصدر سابق، ص ١٧٥.
٥١. الحموي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٦٣-٤٧٠.
٥٢. ابن حوقل، مصدر سابق، ص ١٧٤.
٥٣. المقدسي، مصدر سابق، ص ١٤٠.
٥٤. المصدر نفسه، ص ١٣٨.
- * الفرسخ: هو أحد مقاييس الطول والمسافات ويساوي ثلاثة أميال. يُنظر: فالتر، هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ترجمة: كامل العسلي، عمان، ١٩٧٠، ص ٩٤.
- ** الزراع: وهي وحدة لقياس المساحات والمسافات ولها أسماء متعددة مثل: العمرية طولها ٢٢,٨١٥ سم، والزيادة طولها ٦٦,٥ سم، والقاضية ٥٠,٣ سم، والشرعية ٤٩,٨٧٥ سم، وهي المعول عليها. يُنظر: هنتس، مصدر سابق، ص ٨٤.
٥. الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، ج ٤، ط ٣، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٤٤٥.
٦. ابن بطوطة، مُحَمَّد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار، شرح: طلال حرب، ط ٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧، ص ٢٣٣.
٧. الحموي، مصدر سابق، ج ٤، صص ٤٩٠-٤٩٢.
٨. المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد أحمد بن أبي بكر (ت ٣٨٠هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تعليق: محمد أمين الصناوي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣، صص ١٠٧-١٠٨.
٩. ابن حوقل، مصدر سابق، ص ٢٢٩.
١٠. ابن بطوطة، مصدر سابق، ص ٢٣٢.
١١. الحموي، مصدر سابق، ج ٤، ص ٣٨.
١٢. المقدسي، مصدر سابق، ص ١١٣.
١٣. ابن بطوطة، مصدر سابق، ص ٢٤٨.
١٤. الحموي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٢٠.
١٥. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٩.
١٦. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٣٩.
١٧. المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٢٣-٢٢٤.
١٨. ابن بطوطة، مصدر سابق، ص ٢٤٩.
١٩. القزويني، زكريا بن مُحَمَّد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، لبنان، بيروت، ص ٤٦١.
٢٠. المقدسي، مصدر سابق، ص ١٢٦.
٢١. الحموي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩.
٢٢. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٦٢.
٢٣. المقدسي، مصدر سابق، ص ١٢٧.
٢٤. ابن بطوطة، مصدر سابق، ص ٢٥١.
٢٥. القزويني، مصدر سابق، ص ٣٩٣.
٢٦. الربيعي، عباس، مصدر سابق، ص ٣٣٣.
٢٧. ابن طاووس، علي بن مُحَمَّد بن موسى بن جعفر بن مُحَمَّد الحسني، اللهوف في قتلى الطفوف، ط ١، دار سجدة، مطبعة الهادي، قم، ٢٠٠٣، ص ٩١.